مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

ثورة الشباب وتحولاتها الثقافية
مصطفى حجازي

ثورات الربيع العربي وأسئلة الفكر السوسيولوجي
مصطفى محسن

من تحقيق الذات إلى تنمية الابتكار
عبدالواحد أولاد الفقيهي

سيكولوجية المرأة
خلود السباعي

ثلاثة مداخل لإصلاح المنظومة التربوية المغربية
عبد الوهاب صديقي

الإدارة المدرسية من منظور الإصلاح التربوي
مصطفى بتي

العدد الخمسون - دسمبر 2011

بيداغوجيا الإدماج كمقاربة جديدة للتدريس (مواد وحدة الاجتماعيات نموذجا)

المصطفى الحسناوي
- ممارس بيداغوجي
و باحث تربوي - مريرت

تقديـــم :

تعد بيداغوجيا الإدماج امتدادا للمسار الإصلاحي الذي عرفته المنظومة التربوية ببلادنا، والذي مر بمجموعة من المحطات التجريبية انطلاقا من بيداغوجيا التدريس بالأهداف مرورا ببيداغوجيا التدريس بالكفايات والقيم ثم بيداغوجيا الإدماج.

فما المقصود بالبيداغوجيا؟ وما المقصود بالإدماج؟ وما هي الوضعية الإدماجية؟ وما هي خصائصها؟ وكيف يمكن التخطيط للأنشطة التعلمية وفق بيداغوجيا الإدماج في تدريس مواد وحدة الاجتماعيات؟

أولا : تحديد مفهوم بيداغوجيا الإدماج :

1. تحديد مفهوم البيداغوجيا :

البيداغوجيا كلمة يونانية تتكون في أصلها من كلمتين: بيدوس = Paidos وتعني الطفل، وغوجيا = Gogia وتعني قيادة. وتعني الكلمة كاملة : قيادة الطفل.

- وفي معجم Le Petit Robert تعني : «علم تربية الأطفال» (ص : 1358).

- ويعرفها إميل دوركهايم (Durkheim) «بأنها لا تدرس علميا الأنظمة التربوية، لكنها تفكر فيها من أجل أن توفر لنشاط المربي الأفكار التي توجهه، «إنها نظرية تطبيقية للتربية».[1]

- أما جوزيف لايف (Joseph Leif) فيعتبرها : «علم تربية الأطفال».

- وعند روني أوبير : «فهي ليست علما، ولا فنا ولا فلسفة، بل هي كل هذا منظما تنظيما عقليا».[2]

فالبيداغوجيا إذن تتعلق بمجموع طرق وتقنيات التدريس، والغرض منها هو تأمين نقل المعرفة في أحسن الظروف من خلال معطيات علم النفس وعلم الإجتماع وعلم النمو.

2. **تحديد مفهوم الإدماج :**

إذا عدنا إلى معاجم اللغة العربية (لسان العرب، المعجم الوسيط، أساس البلاغة) نجد أن فعل «دمج» (دمجا وإدماجا) يعني : الإلتئام والربط والتداخل والسبك والإحكام.

و كل هذه الدلالة اللغوية تجعل كلمة «إدماج» قادرة على احتضان الدلالة الإصطلاحية لهذا المفهوم الذي اعتبره روجيرس كزافيي «عملية نربط بواسطتها بين العناصر التي كانت منفصلة في البداية من أجل تشغيلها وفق هدف معطى».[3]

كما يعني لديه كذلك مصطلح الإدماج «التعبئة المتصلة لمجموعة من المعارف ومعارف الفعل من أجل حل وضعية معقدة»[4]

و عرف المجلس الأعلى للتربية في كيبك الإدماج بما يلي : يشير إدماج المعارف إلى السيرورة التي يربط بها التلميذ معارفه السابقة بمعارف جديدة، فيعيد بالتالي بنينة عالمه الداخلي، ويطبق المعارف التي اكتسبها في وضعيات جديدة ملموسة».[5]

لذا لا يمكننا الحديث عن الإدماج إلا بوجود المتعلم (ة) أمام وضعية مشكلة إدماجية.

يعتبر الإدماج في فضاء البيداغوجيا عند بعض المختصين نشاطا ديداكتيكيا يسعى إلى دفع المتعلم لتحريك ما اكتسبه من تعلمات، ويرى بعض التربويين أن من مميزاته الربط بين العملية التعليمية التعلمية والمتعلم.

فالإدماج إذن هو نشاط يستهدف من ورائه جعل المتعلم قادرا على تحريك موارده المختلفة المصدر والطبيعية (المعارف، المهارات، المواقف ...) والتي كانت موضوع تعلمات سابقة منفصلة وذلك من أجل إعطاء دلالة ومعنى لتلك الموارد.[6]

عموما فالإدماج يروم تجاوز القطائع التقليدية بين التعلمات ومختلف عناصر المنهاج، وذلك بإحداث العلاقات فيما بينها.

من خلال ما سبق يمكن القول : إن بيداغوجيا الإدماج تقوم على تصور للتعلم كسيرورة من مرحلتين :

مرحلة إرساء الموارد أو ما يسمى بالتعلمات الجزئية ومرحلة دمج هذه الموارد من خلال ولأجل حل الوضعيات المركبة التي تستدعي منه تعبئة المكتسبات وتنظيمها بنفسه لأن الإدماج عملية داخلية وشخصية، فلا أحد يمكن أن يقوم به مقام الآخر.

ثانيا : انعكاسات بيداغوجيا الإدماج على التعلمات بمادة الاجتماعيات :

تعتبر مادة الاجتماعيات أرضية خصبة لإعمال بيداغوجيا الإدماج، لأن تنمية

كفايات وقدرات ومهارات المتعلمين في هذه المادة لا تتم إلا عبر صياغة التعلمات بكيفية إدماجية.

1. **أنماط أنشطة التعلم وفق تخطيط بيداغوجيا الإدماج في مادة الاجتماعيات :**

يتميز التعلم القائم على الإدماج مثل غيره من التعلمات بالتفاعل بين مختلف أنماط أنشطة التعلم. وقد ميز دوكتيل (Deketel) بين خمسة أنماط من الأنشطة التعلمية المرتبطة ببيداغوجيا الإدماج، سنحاول تكييفها مع بعض الأنشطة التعلمية بالاجتماعيات :

أ- **أنشطة الاستكشـــاف :**

يمكن أن نسمي وضعية استكشاف لكل وضعية تحدث تعلما جديدا، مثل القيام بزيارة ميدانية تمهيدا لدرس جديد، إذ من خلالها يقوم التلاميذ والمدرس بإنجاز تجارب ميدانية (زيارة نهر قريب من المؤسسة مثلا والوقوف على بنيته الجيولوجية: الصخور، التربة ...).

و تتمحور هذه الأنشطة الاستكشافية في إكساب التلاميذ القدرة على التلخيص والحجاج والتركيب والبحث عن المعلومات[7]

ب- **أنشطة التعلم بحل المشكـــلات :**

يجب أن تكون المشكلة مناسبة لمستوى التلاميذ وقدراتهم، ومتمحورة حول المعارف/الكفايات الأساسية التي يجب اكتسابها. فإذا كان دفع المتعلم للبحث هاما، فمن الأهم كذلك أن نجعله يبحث في الوجهة الصحيحة.

يحقق التعلم بحل المشكلات نتائج أفضل من نشاط الاستكشاف لأنه يمكن المتعلم من إدماج مكتسباته وتحليلها تحليلا دقيقا، ويمكن نعت هذه المقاربة بكونها «شاملة» إلا أن تطبيقها في التعليمين الابتدائي والثانوي يطرح عدة صعوبات لأنها تتطلب من التلميذ استقلالية كاملة، وتستلزم محيطا غنيا بالوسائل متعددة الوسائط وتستوجب تأطيرا جيدا من قبل المدرسين، يمكن مثلا تطبيق هذه الأنشطة في إشكالية العلاقة بين النمو الديمغرافي والتخلف، إذ الثروة البشرية إن أحسن استغلالها لا تشكل عائقا أمام تحقيق التقدم كما تصور بعض «المناهج التربوية» «الكتب المدرسية» للأسف، فماذا يمكن القول عن اليابان في هذا الصدد؟

ه- **أنشطة التعلم النسقي :**

هي الأنشطة التي تحاول تنظيم المعارف والخبرات التي تمت معالجتها أثناء أنشطة الاستكشاف، وهي تناسب مختلف الأهداف النوعية التي تؤلف الكفايات. وقد تكون عبارة عن :

- أنشطة شكلنة مفهوم، طريقة، قاعدة، قانون ... إلخ.
- أنشطة تمرين نسقي، اعتمادا على

تمارين أو تطبيقات تتزايد درجة صعوبتها بالتدريج.[8]

أمثلـة : تعلمات في الجغرافيا : لتحويل معطيات جدول ذي نسب مئوية، نقترح على التلميذ طريقتين للحل : الأولى بالدوائر البيانية (المخطط القطاعي : دائرة أو نصف دائرة) والثانية بعمود مستطيل مدرج (عموديا أو أفقيا) هذا، ومن الأفضل منحه إمكانية اختيار إحداهما.

تعلمات في التربية على المواطنة : قراءة نص حقوقي وتحديد مرجعياته (الدينية، الوطنية، العالمية).

د- أنشطة البنينـــة :

ترتبط باستغلال تمثلات المتعلمين لربطها بالمعارف والمفاهيم الجديدة بهدف الربط والمقارنة بينها.

أمثلـة : تعلمات في الجغرافيا : جعل التلميذ يقارن بين رسمين : المقارنة بين مبيانين للتماطر- الحراري (مبيانان مناخيان) لاستخراج أنواع المناخ السائدة بكل واحد منهما.

تعلمات في المواد الثلاث : جعل التلميذ ينتج نصا مكتوبا يختار موضوعه بنفسه.

هـ - أنشطة الإدمـاج :

ينبغي أن تكون فيها أنشطة التعلم منظمة، وذلك من خلال مراعاة مبدأ التدرج : (تعلم جزئي، إدماج مرحلي، إدماج نهائي، أنشطة التقويم) وتحديد الكفاية المستهدفة والتعلمات (الأهداف النوعية) التي نريد دمجها ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

أمثلـة : تعلمات في الجغرافيا : لنفترض أن التلاميذ توصلوا بعد قراءة الخريطة الطبيعية لأوربا وتفسير السرعة المعبر عنها ب Km/h وقراءة الحرارة بالدرجات المئوية إلى إدراك أن معرفة الضغوط مفيدة في تأويل النشرة الجوية.[9]

تعلمات في التاريخ : إنتاج حول موضوع معين : يأخذ الإنتاج أشكالا متباينة تبعا للمستوى الدراسي. ففي الثانوي الإعدادي مثلا نتحدث عن أعمال بحث : (إنجاز ملف عن المقاومة المغربية للاحتلالين الفرنسي والاسباني).

و - أنشطة التقويـم :

تؤدي وظيفة تقويم مكتسبات التلاميذ وهي تشبه أنشطة الإدماج.

و من الأفضل التركيز خلال إعداد وضعيات التقويم على الملاءمة إذ لا معنى لتقويم المكتسبات منفصلة عن التلميذ. وعلى تمثلات التلاميذ والآباء (بعد استراتيجي) وتتأسس خصائص التقويم (التكويني خاصة) من منظور الإدماج على تشخيص الصعوبات عبر مراحل :

o **الكشف عن الأخطاء :** عمل تقني صرف يروم التأكيد على شيء هام وهو تحديد الخطأ في سياقه.

o **وصف الخطأ :** وذلك باعتماد معايير معينة (خطأ على مستوى النص، الفقرة، الجملة، الكلمة، أخطاء الانسجام، أخطاء تركيبية، إملائية ...).

أمثلـة : تعلمات في الجغرافيا : صعوبة تحديد المفهوم لدى التلميذ أحيانا (الخلط بين «المحيط والمساحة»).

o **البحث عن مصادر الأخطاء :** التحليل الدقيق للكشف عن الأسباب التي كانت وراء ارتكاب هذه الأخطاء لفحصها قبل الانتقال إلى المعالجة.

أمثلـة : تعلمات في التاريخ : [10]

وصف الخطإ	مصادر الخطإ الممكنة
سوء موضعة التواريخ قبميلادية على الخط الزمني.	عدم إتقان تعاقب المراحل الزمنية.
	عدم إتقان تمثيل الخط الزمني المتضمن لفترات ما قبل الميلاد.
	صعوبة تمثيل كون الوقائع الموضوعية (الإيجابية) قد تقدم بتواريخ سالبة.
	الخلط بين المستقيم المستعمل في درس الرياضيات (الموجه نحو اليمين) وفي درس التاريخ (الموجه أحيانا نحو اليسار بالنسبة للمتحدثين باللغة العربية).

وقد تكون أسباب وقوع التلميذ في الخطأ إما مرتبطة بعوامل ذاتية (بنيات التلميذ المعرفية، العوامل المرتبطة بحوافزه وبحالته العاطفية، غياب التقويم الذاتي...).

تهييء (بلورة) عدة المعالجة : يرتكز على معالجة مستويات مختلفة (مستوى التلميذ، مستوى المدرس، مستوى النظام)، ويعتمد عدة استراتيجيات كالمعالجة بالتغذية الراجعة والمعالجة بالتكرار وبأعمال تكميلية والمعالجة باعتماد استراتيجيات تعلمية جديدة (أنشطة الاستكشاف وأنشطة التعلم النسقي ...).

2. الوضعية الإدماجية : مفهومها، خصائصها، أهدافها :

أ- مفهومـها :

إذا كانت بيداغوجيا الإدماج امتدادا لتفعيل المقاربة بالكفايات، وتتأسس على العمل بالتناوب وعلى مجزوءات الإدماج وتقويم مختلف التعثرات لخلق علاقة وطيدة بين التعليم والحياة[11]، فإن الوضعية الإدماجية هي وضعية مشكلة تنجز بعدة فترة تعلمات سابقة، تم خلالها تحقيق مكتسبات مجزأة، وتستهدف الربط بين هذه المكتسبات السابقة لإعطائها معنى جديدا.[12]

ب- خصائصـها :

- من خصائص الوضعية الإدماجية كونها دالة ونابضة بالحياة ومستمدة من محيط التلميذ : مثل : (دراسة مشكل التلوث البيئي والبحث عن حلول مناسبة له) وتخاطبه مباشرة.
- تتضمن وسائل الإيضاح المناسبة (صور، رسوم، نصوص ووثائق ...).
- تمكن من تركيب مكتسبات سابقة في

بنية جديدة، وليس بإضافة بعضها البعض.

● تتضمن تعليمات سهلة وواضحة تمكن المتعلم من العمل بكيفية فردية.

ج- أهدافـــها :

تخول للمتعلمين استعمال المعارف والمكتسبات والمهارات والمواقف لحل وضعية – مشكلة، كما أنها تساعدهم على ربط العلاقات بين ما اكتسبوه وما سيتعلموه، كما تمنحهم دلالة للتعلمات.

جدول تركيبي : يوضح دور «بيداغوجيا الإدماج» كأداة للتلاؤم مع المقاربة الكفائية في التحكم واكتساب الموارد خاصة في مواد وحدة الاجتماعيات :

		بيداغوجيا الإدماج : كفايات أساسية + كفايات مستعرضة : اكتساب المتعلمين موارد جديدة :	
المراحـــل	1- اقتراح وضعية إدماجية.	**السياق**	هو المجال العام الذي تندرج فيه الوضعيات المقترحة.
		الأسناد	(جمع سند) : وهي الوثائق والجداول والصور التي تقدم للمتعلم ضمن الوضعيات المقترحة.
		التعليمية	هي الأسئلة المذيلة للأسناد وتحدد المطلوب إنجازه من لدن المتعلم.
	2- تقويم إنجازات المتعلمين.	**التشخيص**	يعني التأشير على أخطاء المتعلمين وتسجيلها.
		التصنيف	يتحدد من خلاله نوع الخطأ أو الصنف الذي ينتمي إليه، ومن هذه الأصناف : أ- الملاءمة : مدى فهم المتعلمين للتعليمة التي تذيل الأسناد. ب- استخدام الموارد : التحقق من مدى قدرة المتعلمين على توظيف مكتسباتهم. ج - الانسجام : التسلسل المنطقي للأفكار ومدى ترابطها. د - جودة العرض : تفييء المتعلمين بعد تفريغ الأخطاء في شبكة خاصة حسب أنواعها وتواترها وشيوعها.
		المعالجة	تتدرج من معالجة جماعية ثم ثنائية ففردية حسب طبيعة الخطأ. وهي إما معالجة فورية أو معالجة مركزة.
	3- إنماء الكفايات – تقويم إنماء الكفايات.		

خلاصـــة :

يجب تجاوز حصر المعرفة المدرسية في اجتياز الامتحان إلى رؤية تحويلية للمعارف والمكتسبات في وضعيات معقدة، لذا يستحسن عند صياغة البرامج والمناهج الأخذ بعين الاعتبار متطلبات الحياة الاجتماعية.

وفي هذا الاطار تأتي بيداغوجيا الإدماج كأجرأة للمشروع الثامن من البرنامج الاستعجالي الرامي إلى تحسين المنظومة التربوية ببلادنا، رغم المشاكل والاكراهات التي تعيشها مدرستنا العمومية كظاهرة الاكتظاظ والهدر المدرسي وافتقار التلاميذ لبعض مصادر المعرفة (الكتب والموسوعات، الأنترنيت – الحواسيب ...).

ليست بيداغوجيا الإدماج إذن وسيلة أو هدفا، بل إنها كيفية تحيينية لوضعية – مشكلة تروم لعب دور وظيفي ضمن جماعة ما تؤدي نشاطا – معضلة وتبحث له عن حلول ملائمة، وهي دعم للمقاربة بالكفايات. فهل ستكون كذلك دعما للمقاربة بالملاءمة وللتعلم الملائم للحياة؟

الهوامـــش :

1 -العربي اسليماني «المعين في التربية الطبعة الأولى (2006) ص : 134.

2 -ذ. محمد صولة (بيداغوجيا الإدماج وسؤال الكفايات) الجريدة الأولى العدد 464 ص : 9 (18 نونبر 2009).

3 -د. لحسن بوتكلاي (بيداغوجيا الإدماج : الإطار النظري، الوضعيات، الأنشطة : أعداد وترجمة لحسن بوتكلاي) ص : 5150 منشورات علوم التربية العدد : 17 ط 2 (2009).

4 -د. الحسن بواجلابن (التخطيط وفق بيداغوجيا الإدماج) مجلة الحياة المدرسية العدد 16 (أكتوبر – نونبر 2009) ص : 25.

5 – د. لحسن بوتكلاي مرجع سابق. ص : 50 -51.

6 – ذ. الحسين بنغنو (بيداغوجيا الإدماج) الجريدة الأولى، العدد : 464 ص : 9 (81 نونبر 2009).

7 -د. لحسن بوتكلاي مرجع سابق. ص : 80.

8 – د. لحسن بوتكلاي مرجع سابق. ص : 88.

9 -د. لحسن بوتكلاي مرجع سابق. ص : 102.

10 – د. لحسن بوتكلاي مرجع سابق. ص : 121.

11 – محمد أولحاج (السيكولوجيا والبيداغوجيا) منشورات صدى التضامن، طبعة نونبر 2006 ص : 83.

12 – ذ. الحسين بنغنو مرجع سابق، نفس الصفحة.

الحسين اللحية (دليل المدرس (ة) : التكويني والمهني) الطبعة الأولى (2008) ص : 117.